

الصحافة والأدب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قرية الملحمة بالأدب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور

فما من صحيفه مهذبة - ايـاـ كان موعدها ومطليها - الا وهي تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة وتضيف الى محصول النفس من المعاني والخواطر ، وهي بهذه المثابة تخدم الأدب وتوسيع نطاقه بين طبقات القراء . ومنىـ كان هذا شأنـ الصحف عامة فـأـحرىـ بالصحف المصورة على الأدب اوـ التي تفرد له بـاـياـ خاصـاـ بين ابوابها ان تعدـ فيـ مقدمةـ الوسائلـ الـادـيـةـ وفيـ طـلـيـعـةـ الفتـوحـ التي تفسـحـ حدودـ دـوـلـتـهـ وـتـقـاعـدـ عـدـدـ الـمـعـنـيـنـ بـهـ ، وـكـثـيرـ بـيـنـ صـحـفـ العـصـرـ الـحـاضـرـ الـتـيـ تـصـنـعـ هـذـاـ الصـنـيـعـ وـتـفـرـغـ بـعـضـ اـبـوـابـهاـ لـآـثـارـ الشـعـرـ وـالـكـتابـ وـالـنـقـادـ وـالـاصـحـابـ الـقصـصـ وـالـطـرـفـ وـسـائـرـ ماـ يـسـىـ اـدـبـاـ فيـ عـرـفـ الـقـرـاءـ ، وـهـيـ تـفـعـلـ ذـلـكـ لـانـ الـادـبـ مـوـضـعـ مـشـرـكـ يـقـرـأـ الـادـبـ وـغـيـرـ الـادـبـ وـيـسـهـلـ عـلـىـ مـنـ شـاءـ انـ يـأـخـذـ بـتـصـيـبـ مـنـهـ عـلـىـ قـدـرـ اـسـتـعـادـهـ وـرـغـبـتـهـ . فـهـوـ مـطـلـبـ لـاـ غـنـىـ عـنـهـ لـصـحـيـفـةـ تـرـيدـ انـ تـسـجـمـ اـسـبـابـ الـاقـيـالـ وـتـبـرـزـ غـيـرـهـ فـيـ التـنـوـيـعـ وـالتـشـوـيـقـ ، وـيـرـجـعـ اـلـىـ هـذـاـ اـعـتـاءـ صـحـفـ السـيـاسـةـ الـيـوـمـيـةـ فـيـ اـقـطـارـ الـعـالـمـ يـابـ الـادـبـ وـمـاـ يـتـضـلـ بـهـ وـيـهـرـيـ بـحـرـاهـ . فـقـدـ اـصـبـحـ لـعـصـمـهاـ كـتـابـ اـخـصـاءـ يـمـدـونـهـ بـالـتـنـقـيـفـ الـيـوـمـيـةـ اوـ الـقـصـصـ الـاـسـبـوعـيـةـ اوـ الـقـصـصـ الـقـصـيـدةـ وـالـطـوـيـلةـ الـمـتـابـعـةـ . فـاـسـتـفـادـتـ هيـ وـافـادـتـ الـقـرـاءـ وـالـكـتابـ فـائـدـةـ قـلـ انـ نـاحـ بـغـيـرـ هـذـهـ الـوـسـيـلـةـ فـنـ تـحـصـيلـ الـحـاـصـلـ انـ يـقـالـ انـ الصـحـافـةـ اـداـةـ كـبـيرـ النـفـعـ لـلـادـبـ وـالـادـبـ . خـدـمـتـهـاـ وـخـدـمـتـهـمـ بـاـذـاعـةـ اـشـعـارـهـ وـآـثـارـهـ وـتـبـلـيـغـ رسـالـتـهـمـ اـلـىـ طـبـقـاتـ وـطـوـافـنـ ماـ كـانـتـ لـتـسـمـعـ بـهـاـ لـوـلاـ الصـحـفـ وـالـمـجلـاتـ . وـلـاـ مـحـلـ لـلـاـسـهـابـ فـيـ يـيـانـ فـوـائـدـ الصـحـافـةـ الـاـدـيـةـ لـلـادـبـ لـانـ الـاـسـهـابـ فـيـ يـيـانـ ذـلـكـ كـاـلـاـسـهـابـ فـيـ القـولـ بـاـنـ رـوـاجـ الـادـبـ وـتـكـثـيرـ عـدـدـ فـرـائـهـ مـفـيدـ لـلـادـبـ . وـمـثـلـ هـذـاـ القـولـ فـيـ غـنـىـ عـنـ التـبـيـطـ وـالتـدـلـيلـ

اـلـاـ انـ سـؤـالـ طـبـيعـيـاـ لـاـ بـدـ اـنـ يـرـدـ عـلـىـ الـخـاطـرـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ وـهـوـ : هلـ اـفـادـتـ الصـحـافـةـ الـادـبـ مـنـ جـانـبـ الـنـوـعـ وـالـمـدـرـجـةـ كـاـ اـفـادـتـهـ مـنـ جـانـبـ الـكـمـ وـالـكـثـرةـ ؟ وـبـعـارـةـ اوـضـحـ هـلـ رـفـعـ الصـحـافـةـ مـسـتـوىـ الـادـبـ كـاـ زـادـتـ عـدـدـ فـرـائـهـ وـضـاعـفـتـ مـادـةـ مـسـطـورـاتـهـ ؟ وـالـجـوابـ فـيـ رـأـيـيـ الـىـ النـفـيـ اـقـرـبـ مـنـهـ اـلـىـ الـاـيجـابـ

ذـلـكـ اـنـ اـنـتـشـارـ الـكـتـابـةـ بـيـنـ جـيـعـ الـطـبـقـاتـ يـوـكـلـهـ بـالـاعـمـ الـاشـيـعـ مـنـ الـاـذـواقـ وـالـاـهـوـاءـ وـيـجـعـلـ الـحـكـمـ الـفـالـبـ عـلـيـهـ جـمـهـورـ الـقـرـاءـ وـمـنـ يـطـلـبـونـ مـنـ كـلـ قـرـاءـةـ مـلـهـاـ تـشـبـهـ مـلـاهـيـهـ الـمـسـفـةـ

وتعجب افكارهم الساذجة ، فلا يسع الصحيفة ان تقصري كنابتها على افانين القول التي تحتاج في فهمها وتذوقها الى ملكة نادرة وذهن واسع وطبع مثقف ، ولا جبلة لها الا ان تلقي بالها الى الفئة الكبرى بين شواد قرائتها مذ كان يقاومها وذيعها رهناً برضاه عنها قبل رضا اهليتها الناخبة المختارة . وتلث آفة للديمقراطية الحديثة لا ندرى كيف يطاق الصبر عليها ولا كيف يعالجها الزمان فيما يعالج من الغير والاطوار

يستبشر قوم برواج الآداب المسرحية ولا ارى في رواجها الا علامة من علامات الكسل عن القراءة وانعام النظر ، ويستبشر آخرون بكثرة الموجزات التي تلغص بدائع القراءة ولا ارى في كثرتها الا علامة اخرى على ذلك الكسل الوخيم فكان هبوط درجة الآداب تبع لازدياد قرائتها حين يكون أولئك القراء من ابناء الاميين او من طلاب اللغو وتزجية الفراغ ، وكان فكرة المساواة قد هبطت بالاعلى الى مقام الادنى ولم ترتفع بهذا الى مقام ذاك ! فاصبح الاغمار تائعين باقدارهم زاهدين في طلب المزايا الفكرية والفضائل النفسية ، ووقو في اوهامهم انهم انداد اكبر كبير في الزكاء والعلم فلا يغبة لهم عنده الا ان يسلّمهم ويتقدّمه ولا حق له في ان يقف منهم موقف الاستاذ من المتعلّم والمرشد من المسترشد ... ولا شك في ان سلطان الشعب هو خير نظام عرفه الناس بعد من انظمة الحكم واساليب سياسة الاقوام ، ولكن هذا الاثر الذي جناه على الآداب والفنون حق ايفاً لا شك فيه

وفي اروبا اليوم ادباء مشهورون يقرأون في اتحاد العالم بأسره ، ولكن ليس بين هؤلاء المعاصر بن الدين فرأى لهم من هو اجرد بالاحترام من ايامز الكاتب الاسپاني ومرجكفسكي الكاتب الروسي وبراندلو الكاتب الايطالي . لأنهم اكرم اقداراً على انفسهم واتّه افلاماً عن محاباة الشهوات وتملّق الجهالات من عامة الكتاب الغربيين ، ولست اعرف سبباً خاصاً لذلك الا انهم نشأوا في امم مختلفة بين امم اوروبا لم يسيطر فيها سلطان الشعب على الآداب والآدبار ولم يسحب على الاقلام سنة المساواة والابتدال كما سعّي بها على الام السابقة في الحكومة الشعبية والتعليم وبعد فهل الصحافة هي التي اوجدت هذه الحالة او هي المسئول الاكبر عنها ؟ لا اظن . فانها حالة عمت الكتب والمصحف وشاعت بين المصنفات ما كان له موعد مرسوم وما لم يكن له موعد للصدور . ويجب ان نذكر هنا ان الصحافة هي اقدر من غيرها على علاج هذه الحالة لانها تستطيع ان تحمل الجيد على الردىء فيحمله معه ويستميل اليه جمهور القراء شيئاً فشيئاً ولو على سبيل التجربة وحب الاستطلاع

عباس محمود العقاد